

(أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) هُمُ الْبَشَرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٤))
[يونس : ٦٢ - ٦٤] .

(أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) يجبر تعالى أن أولياءه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون، كما فسرههم ربه، فكل من كان تقياً كان لله ولياً أنه (لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) أي فيما يستقبلون من أهوال القيامة (ولا هُمْ يَحْزَنُونَ) على ما وراءهم في الدنيا.
والمعنى: ألا إن أولياء الله الذين صدق إيمانهم، وحسن عملهم، لا خوف عليهم من أهوال الموقف وعذاب الآخرة، ولا هم يحزنون على ما تركوا وراءهم من الدنيا، لأن مقصدهم الأسمى رضا الله سبحانه، فمتى فعلوا ما يؤدي إلى ذلك هان كل ما سواه.
وهم :

(الَّذِينَ آمَنُوا) بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره .
(وَكَانُوا يَتَّقُونَ) أي : وصدقوا إيمانهم، باستعمال التقوى، بامتنال الأوامر، واجتناب النواهي ، فكل من كان مؤمناً تقياً كان لله [تعالى] ولياً .

● وعبر عن إيمانهم بالفعل الماضي، للإشارة إلى أنه إيمان ثابت راسخ. لا تزلزله الشكوك، ولا تؤثر فيه الشبهات.
● أولياء الله هم أهل الإيمان والتقوى ، الذين يراقبون الله تعالى في جميع شؤونهم ، فيلتزمون أوامره ، ويجتنبون نواهيه ، كما قال الله تعالى : (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) .
الولاية متفاوتة بحسب إيمان العبد وتقواه ، فكل مؤمن له نصيب من ولاية الله ومحبته وقربه ، ولكن هذا النصيب يتفاوت بحسب الأعمال الصالحة البدنية والقلبية التي يتقرب بها إلى الله ، وعليه يمكن تقسيم درجات الولاية إلى ثلاث درجات:
أولاً : درجة الظالم لنفسه : وهو المؤمن العاصي ، فهذا له من الولاية بقدر إيمانه وأعماله الصالحة
ثانياً : المقتصد : وهو المؤمن الذي يحافظ على أوامر الله ، ويجتنب معاصيه ، ولكنه لا يجتهد في أداء النوافل : وهذا أعلى درجة في الولاية من سابقه
ثالثاً : السابق بالخيرات : وهو الذي يأتي بالنوافل مع الفرائض ، ويبلغ بالعبادات القلبية لله عز وجل مبالغ عالية ، فهذا في درجات الولاية العالية.

(هُمُ الْبَشَرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) زيادة تكريم وتشريف لهم.
والبشرى والبشارة: الخبر السار، فهو أخص من الخبر، وسمى بذلك لأن أثره يظهر على البشرة وهي ظاهر جلد الإنسان، فيجعله متهلل الوجه، منبسط الأسارير، مبتهج النفس.
واختلف العلماء في المراد في البشرى بالحياة الدنيا :
القول الأول : الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له .
عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ : (هُمُ الْبَشَرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُؤْمِنُ أَوْ تُرَى لَهُ .
القول الثاني : المراد بذلك بشرى الملائكة للمؤمن عند احتضاره بالجنة والمغفرة .

كما في قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ نَزَلْنَا مِنْ غَمُورٍ رَحِيمٍ) .
وفي حديث البراء (أن المؤمن إذا حضره الموت، جاءه ملائكة بيض الوجوه، بيض الثياب، فقالوا: اخرجي أيتها الروح الطيبة إلى روح وربحان، ورب غير غضبان. فتخرج من فمه، كما تسيل القطرة من فم السقاء) .

القول الثالث : أنها ما بشر الله به في كتابه من جنته وثوابه ، كقوله (وبشر الذين آمنوا) (وأبشروا بالجنة) .
واختار بعض العلماء العموم .

قال الطبري : وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ أَخْبَرَ أَنَّ لِأَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَمِنْ الْبُشْرَةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةَ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ ؛ مِنْهَا بُشْرَى الْمَلَائِكَةِ إِيَّاهُ عِنْدَ خُرُوجِ نَفْسِهِ بِرَحْمَةِ اللَّهِ ، كَمَا زُيِّنَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : إِنَّ الْمَلَائِكَةَ الَّتِي تَحْضُرُهُ عِنْدَ خُرُوجِ نَفْسِهِ ، تَقُولُ لِنَفْسِهِ : اخْرُجِي إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ .
وَمِنْهَا : بُشْرَى اللَّهِ إِيَّاهُ مَا وَعَدَهُ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ مِنَ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ ، كَمَا قَالَ جَلَّ تَنَاؤُهُ : (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) . وَكُلُّ هَذِهِ الْمَعَانِي مِنْ بُشْرَى اللَّهِ إِيَّاهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِبُشْرِهِ بِهَا ، وَلَمْ يُخَصِّصِ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ مَعْنَى دُونَ مَعْنَى ، فَذَلِكَ مِمَّا عَمَّهُ جَلَّ تَنَاؤُهُ أَنَّ (هُمْ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَالْجَنَّةُ .

وقال السعدي : أما البشارة في الدنيا، فهي: الثناء الحسن، والمودة في قلوب المؤمنين، والرؤيا الصالحة، وما يراه العبد من لطف الله به وتيسيره لأحسن الأعمال والأخلاق، وصرفه عن مساوئ الأخلاق.

(**وَفِي الْآخِرَةِ**) **قال النعالبي :** أمَّا بشرى الآخرة ، فهي بالجنة ؛ بلا خلاف قولاً واحداً ، وذلك هو الفضل الكبير .

● **قال السعدي :** وأما في الآخرة، فأولها البشارة عند قبض أرواحهم، كما قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) .

وفي القبر ما يبشر به من رضا الله تعالى والنعيم المقيم.

وفي الآخرة تمام البشري بدخول جنات النعيم، والنجاة من العذاب الأليم.

● **قال ابن كثير :** وأما بشراهم في الآخرة، فكما قال تعالى (لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) .

وقال تعالى (يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكَمُ الْيَوْمِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) .

(**لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ**) أي: هذا الوعد لا يبدل ولا يخلف ولا يغير، بل هو مقرر مثبت كائن لا محالة .

● **قال السعدي :** قوله تعالى (**لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ**) بل ما وعد الله فهو حق، لا يمكن تغييره ولا تبديله، لأنه الصادق في قيله، الذي لا يقدر أحد أن يخالفه فيما قدره وقضاه.

(**ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**) لأنه اشتمل على النجاة من كل محذور، والظفر بكل مطلوب محبوب، وحصر الفوز فيه، لأنه لا فوز لغير أهل الإيمان والتقوى.

والحاصل أن البشري شاملة لكل خير وثواب، رتبته الله في الدنيا والآخرة، على الإيمان والتقوى، ولهذا أطلق ذلك، فلم يقيده.

الفوائد :

١-عظم منزلة ولاية الله .

- ٢- على المسلم أن يجتهد أن يكون ولياً لله .
- ٣- أن ولاية الله ليست بالدعوى والتمني ، وإنما بالإيمان والعمل الصالح .
- ٤- أنه لا خوف ولا حزن على من كان لله ولياً .
- ٥- كلما كان الإنسان أكثر ولاية لله كان أكثر أمناً واطمئناناً .
- ٦- البشرى في الدنيا لمن كان ولياً لله .
- ٧- الفوز بالجنة هو أعظم فوز .
- ٨- أنه لا تبادل لكلمات الله وأوامره وأحكامه .
- (وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦٥))
- [يونس : ٦٥] .

(وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ) أي: ولا يحزنك قول المكذبين فيك من الأقوال التي يتوصلون بها إلى القدح فيك، وفي دينك فإن أقوالهم لا تعزهم، ولا تضرك شيئاً .

كقولهم : لست برسول ، مجنون ، كذاب ونحوها .

والحزن ضد السرور .

(إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) فإن العزة والغلبة والقوة والقهر لله جميعاً ، أي: جميعها له ولرسوله وللمؤمنين .

(هُوَ السَّمِيعُ) أي: السميع لأقوال عباده .

(الْعَلِيمُ) العليم بأحوالهم .

● قال السعدي : قوله تعالى (هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) أي: سمعه قد أحاط بجميع الأصوات، فلا يخفى عليه شيء منها. وعلمه قد أحاط بجميع الظواهر والبواطن، فلا يعزب عنه مثقال ذرة، في السماوات والأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر. وهو تعالى يسمع قولك، وقول أعدائك فيك، ويعلم ذلك تفصيلاً فاكتف بعلم الله وكفايته، فمن يتق الله، فهو حسبه.

الفوائد :

١- عناية الله برسوله ﷺ حيث يوجهه بما يقابل به الأعداء .

٢- أن كلام الأعداء والظعن في الدعوة لا يضر .

٣- تسليية لكل داعية إلى الله يواجه مصاعب في دعوته من الناس .

٤- أن من أيقن أن العزة لله ، فإنه لا يبالي بكلام الناس وطعنهم ، بل يزداد ثباتاً وقوة .

٥- أن الله سميع لأقوال هؤلاء الأعداء ، وسيجازيهم عليها .

٦- أن الله لا يخفى عليه شيء .

(أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعِ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٦٦)) .

[يونس : ٦٦] .

(أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ) خَلْقًا وَمَلَكًا وَتَدْبِيرًا .
(وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ) أَي : وما يتبع هؤلاء المشركون آلهة على الحقيقة ، بل يظنون انها تشفع وتنفع ، وهي لا تملك لهم ضرراً ولا نفعاً .
(إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ) أَي : ما يتبعون إلا ظناً باطلاً .
(وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) أَي : يكذبون ، يظنون الأوهام حقائق .
الفوائد :

- ١- عموم ملك الله تعالى .
 - ٢- أن كل آلهة غير الله باطلة .
 - ٣- وجوب عبادة الله تعالى .
 - ٤- أن كل من عبد غير الله فهو متبع لهواه .
- (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٦٧)) .
[يونس : ٦٧] .

(هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ) أَي : يستريحون فيه من نصبهم وكلالهم وحركاتهم .
● قال السعدي : في النوم والراحة بسبب الظلمة، التي تغطي وجه الأرض، فلو استمر الضياء، لما قروا، ولما سكنوا.
(وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا) أَي : مضيئاً لمعاشهم وسعيهم، وأسفارهم ومصالحهم .
(إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) أَي : يسمعون هذه الحجج والأدلة، فيعتبرون بها، ويستدلون على عظمة خالقها، ومقدرها ومسيرها .
● قال السعدي : قوله تعالى (لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) عن الله، سمع فهم، وقبول، واسترشاد، لا سمع تعنت وعناد، فإن في ذلك آيات، لقوم يسمعون، يستدلون بها على أنه وحده المعبود وأنه الإله الحق، وأن إلهية ما سواه باطلة، وأنه الرؤوف الرحيم العليم الحكيم .

● وقد ذكر الله تعالى هذه الآية (الليل للسكن والنهار للمعاش) في مواضع من كتابه :
كما قال تعالى (فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) .
وقال تعالى (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) .
وقال تعالى (وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) .
أَي : لِتَسْكُنُوا فِي اللَّيْلِ ، وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ بِالنَّهَارِ فِي السَّعْيِ لِلْمَعَاشِ .
وقال تعالى (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ) .
وقال تعالى (أَمْ يَرَوْنَ أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) .
وقال تعالى (وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا) .

● قال الشنيطي : فالإتيان بالليل بدل النهار والإتيان بالنهار بدل الليل من أعظم آيات الله - جل وعلا - الدالة على أنه المعبود وحده، وأنه الرب وحده، ومع كون الليل والنهار آيتين فهما أيضاً نعمتان عظيمتان من أعظم نعم الله على خلقه،

فهما جامعان بين كونهما آيتين وكونهما نعمتين، وبَيَّنَّ أهما آيتان بقوله (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ) وَبَيَّنَّ أهما نعمتان وآيتان في مواضع كثيرة من أصرحها سورة القصص حيث قال فيها: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِاللَّيْلِ تَسْكُونُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) ثم بَيَّنَّ أهما نعمتان بعد بيان أهما آيتان قال: (وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ) يعني النهار ، فجعل الليل مُظْلِمًا مُنَاسِبًا للسكون والهدوء وعدم الحركة ليستريح الناس من كدِّ الأعمال والتعب في النهار، ثم يجعل النهار مُضِيئًا مُنِيرًا مُنَاسِبًا لِثَبَاتِ النَّاسِ فِي حَوَائِجِهِمْ وَاِكْتِسَابِ مَعَايِشِهِمْ فِي نَوْرِ سَاطِعٍ مِنْ غَيْرِ فِتِيلَةٍ وَلَا زَيْتٍ وَلَا حَاجَةٍ إِلَى مَوْئِدَةٍ.

الفوائد :

- ١- رحمة الله بعباده حيث جعل الليل للسكنى والهدوء ، والنهار مبصرًا للمعاش والعمل .
- ٢- إثبات الحكمة في أفعال الله .
- ٣- أن جعل الليل مظلمًا والنهار مبصرًا من أعظم الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى .
- ٤- أن هذه الآيات لا يعتبر بها إلا من يسمع آيات الله سمع فهم وتدبر وتعقل .
- ٥- ذم من لا يسمع آيات الله سمع تدبر وتفهم .
- ٦- أن الله تعالى برحمته يبين لعباده الآيات وينوعها لعلهم يهتدون ويتوبون .

(قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أْتِفُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٨))
 [يونس : ٦٨] .

(قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) هذا إخبار عن النصارى عليهم لعائن الله ، وكذا من أشبههم من اليهود ومن مشركي العرب ممن جعل الملائكة بنات الله .

● قال الشنقيطي : هذا الولد المزعوم على زاعمه لعائن الله، قد جاء مفصلاً في آيات آخر.

كقوله تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) وقوله (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ) .

(سُبْحَانَهُ) أي: تقدس وتنزه وتعظيم عما يصفه هؤلاء الجهلة الضالون من الأولاد والأنداد، والنظراء والشركاء.

(هُوَ الْغَنِيُّ) الغنى الكامل ، الذي لا يحتاج إلى أحد ، وكل أحد محتاج إليه سبحانه .

(لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) خلقاً وملكاً وتديراً .

وفي البقرة (بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ) .

(إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا) أي: هل عندكم من حجة وبرهان يدل على أن الله ولدًا، فلو كان لهم دليل لأبدوه، فلما تحداهم وعجزهم عن إقامة الدليل، علم بطلان ما قالوه. وأن ذلك قول بلا علم .

(أْتِفُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) فإن هذا من أعظم المحرمات.

مباحث :

● فادعاء الله الولد أمر خطير وكبير .

كما قال تعالى (إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا).

وقال تعالى (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا. لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا. تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا. أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا. وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا. إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ (قَالَ اللَّهُ كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَرَعَمَ آتِي لَا أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ لِي وَلَدٌ ، فَسُبْحَانِي أَنْ أُتَّخَذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا) رواه البخاري .

وقال ﷺ (لا أحد أصبر على اذى سمعه من الله ، إنهم يجعلون له ولداً ، وهو يرزقهم ويعافيههم) متفق عليه

● وما تضمنته هذه الآية الكريمة: من أنه لما ذكر وصف الكفار له بما لا يليق به ، نزه نفسه عن ذلك ، معلماً خلقه في كتابه أن ينزهوه عن كل ما لا يليق به ، جاء موضحاً في آيات كثيرة:

كقوله تعالى (وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ).

وقوله تعالى (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ).

وقوله تعالى (قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْعَزِيزُ).

وقوله تعالى (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ).

وقوله تعالى (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ).

وقوله تعالى (قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَآبْتَعَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا. سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُفُؤُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا).

وقوله تعالى (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يُصِفُونَ).

● والله منزه عن الولد لأمر متعددة:

أولاً: لأنه مالك كل شيء ، والمالك لا بد أن يكون المملوك مبايناً له في كل الأحوال.

كما في هذه الآية (قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْعَزِيزُ) .

ثانياً: أنه ليس له زوجة ، والابن إنما يكون غالباً ممن له زوجة .

كما ذكر الله ذلك في سورة الأنعام (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ . بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ بِكُنُوفٍ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) .

ثالثاً: أن الولد إنما يكون لمن يحتاج للبقاء ، أي: بقاء النوع باستمرار النسل ، والرب عز وجل ليس بحاجة إلى ذلك ، لأنه الحي الذي لا يموت .

رابعاً: أن الابن إنما يحتاج إليه والده ليساعده ويعينه على شؤونه وأموره، والله سبحانه وتعالى غني .

وقد أشار إلى ذلك بقوله (سبحانه هو الغني) . . . [قاله الشيخ ابن عثيمين].

قال الرازي: إن الولد إنما يتخذ للحاجة إليه في الكبر ورجاء الانتفاع بمعونته حال عجز الأب عن أمور نفسه، فعلى هذا إيجاد الولد إنما يصح على من يصح عليه الفقر والعجز والحاجة، فإذا كان كل ذلك محال كان إيجاد الولد عليه سبحانه وتعالى محالاً واعلم أنه تعالى حكى في مواضع كثيرة عن هؤلاء الذين يضيفون إليه الأولاد قولهم، واحتج عليهم بهذه الحجة وهي أن كل من في السموات والأرض عبد له ، وبأنه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون، وقال في مريم (ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمتنون ما كان لله أن يتخذ من ولدٍ سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) وقال أيضاً في آخر هذه السورة (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً * لقد جئتم شيئاً إذا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدأ * أن دعوا للرحمن ولداً * وما

يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَدّاً * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا).

• أن من أسماء الله الغني .

فإن الله غني عن كل ما سواه ، غني في نفسه لكثرة ما عنده ، غني عن خلقه ، كما قال تعالى (فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) له ملك السموات والأرض ، وخزائن السموات والأرض كلها بيده ، كما قال تعالى (وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) وقال تعالى (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) ، فخزائنه عز وجل ملاء ، لا يغيضها كثرة الإنفاق ، وليس بحاجة إلى خلقه ، لا تنفعه طاعة الطائعين ، ولا تضره معصية العاصين ، وكل شيء فقير إليه.

• قال ابن القيم: هو الغني بذاته الذي كل ما سواه محتاج إليه ، وليس به حاجة إلى أحد.

• وقال السعدي: هو الغني بذاته، الذي له الغنى التام المطلق، من جميع الوجوه، والاعتبارات لكماله، وكمال صفاته، فلا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه، ولا يمكن أن يكون إلا غنياً، لأن غناه من لوازم ذاته، كما لا يكون إلا خالقاً قادراً رازقاً محسناً فلا يحتاج إلى أحد بوجه من الوجوه، فهو الغني الذي بيده خزائن السماوات والأرض، وخزائن الدنيا والآخرة، المغني جميع خلقه غني عاماً.

قال: ومن كمال غناه: أنه لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولا شريكاً في الملك ، ولا ولياً من الذل.

وقال الخطابي: الغني: هو الذي استغنى عن الخلق وعن نصرته وتأييدهم للملكه، فليست به حاجة إليهم، وهم إليه فقراء محتاجون.

• فغنى الله يتضمن شيئين: الأول: الغنى الذاتي ، لكثرة ما يملكه ، إذ كل شيء ملكه ، والثاني: الغنى عن الغير ، فلا يحتاج إلى أحد وغيره محتاج إليه.

• الآثار المترتبة على معرفتنا بهذا الاسم:

أولاً: إفراد الله تعالى بالعبادة ، لأنه سبحانه هو الغني المطلق ، والغنى وصف له سبحانه ذاتي وما سواه من الخلائق مفتقر إليه ، فالأمر كله له والمملك كله له ، وجميع الخلق مربوبون مملوكون ، فكيف يتخذ منهم معبوداً مع الله تعالى؟

ثانياً: الافتقار التام إلى الله عز وجل ، لأن الفقر صفة ذاتية ملازمة للعبد في جميع أحيانه ولا حول ولا قوة إلا بالله تعالى ، ولا يستغني عن ربه سبحانه طرفة عين ، لأنه سبحانه الغني ذو الغنى المطلق الذي لا يحتاج إلى أحد ، وكل أحد محتاج إليه.

ثالثاً: أن هذا الاسم يثمر في قلب المؤمن الغنى القلبي كما في الحديث (ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى القلب) وهذا يثمر الاستغناء بالله تعالى وحده عن الناس وعزة النفس ، والتعفف والزهد بما في أيدي الناس ، وعدم التذلل لهم وعدم التعلق بأعطياتهم وإعانتهم ، بل يجرد العبد تعلقه وقضاء حوائجه وطلب رزقه بالله الغني الحميد الكريم الوهاب الذي لا تغني خزائنه.

رابعاً: أن الله غني عن عباده ، ومع ذلك فهو محسن إليهم ، رحيم بهم ، وهذا من كمال غناه وكرمه ورحمته.

أما العباد فإنهم يحسنون إلى بعضهم البعض لتعلق مصالحهم بذلك إما عاجلاً وإما آجلاً.

• ومن غنى الله أنه منزه عن الولد ، لأن الولد إنما يحتاج إليه والده ليساعده ويعينه على شؤونه وأموره ، والله سبحانه وتعالى غني ، وقد أشار إلى ذلك بقوله (قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَدّاً سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ).

الفوائد :

١- تنزيه الله عن الولد .

٢- وجوب تنزيه الله عز وجل عن كل عيب ونقص .

- ٣- بيان غنى الله عن اتخاذ الولد ، حيث أنه سبحانه وتعالى مالك السماوات والأرض وما فيهما .
 ٤- إثبات اسم الغني من أسماء الله تعالى ، المتضمن لصفة الغنى الكامل .
 ٥- تحريم القول على الله بغير علم .

(قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (٦٩) مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٧٠)) .
 [يونس : ٦٩ - ٧٠] .

(قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ) أي : كل من كذب على الله لا يفوز ولا ينجح .
 • قال السعدي : أي: لا ينالون مطلوبهم، ولا يحصل لهم مقصودهم .

(مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا) أي: مدة قريبة .

(ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ) أي: يوم القيامة .

(ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ) أي: الموجه المولم .

(بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) أي: بسبب كفرهم وافترائهم وكذبهم على الله، فيما ادعوه من الإفك والزور .

- المتاع: ما يتمتع به ويزول، فمتاع هذه الدنيا قليل من حيث نوعه ومن حيث مدته، فمتاع الدنيا يزول، أو أنت تزول عنه، وكذلك نعيمه فهو قليل بالنسبة لنعيم الآخرة.
 ومتاع الدنيا قليل .

كما قال تعالى (قل مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ)

- قال القرطبي: وسماه قليلاً لأنه لا بقاء له .

قال سبحانه وتعالى عن مؤمن فرعون أنه قال لقومه (يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ) .

وقال القرطبي: متاع: أي يتمتع بما قليل ثم تنقطع وتزول. ودار الآخرة هي دار الاستقرار والخلود.

قال ابن رجب: وقال الله تعالى عن مؤمن آل فرعون أنه قال لقومه (يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار) والمتاع: هو ما يتمتع به صاحبه برهة ثم ينقطع ويفنى .

فما عيبت الدنيا بأكثر من ذكر فنائها وتقلب أحوالها، وهو أدل دليل على انقضائها وزوالها، فتبدل صحتها بالسقم، ووجودها بالعدم، وشيبتها بالهرم، ونعيمها بالبؤس، وحياتها بالموت، فتفارق الأجسام النفوس وعمارتها بالخراب واجتماعها بفرقة الأحباب وكل ما فوق التراب تراب قال بعض السلف في يوم عيد وقد نظر إلى كثرة الناس وزينة لباسهم: هل ترون إلا خرقاً تبلى أو لحماً يأكله الدود غداً كان الإمام أحمد رضي الله عنه يقول: يا دار تخربين ويموت سكانك .

قال رحمه الله (لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء) رواه الترمذي .

وقال رحمه الله (الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه ...) رواه الترمذي .

وقال رحمه الله (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) رواه مسلم .

وقال ﷺ (ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها) رواه الترمذي.
وقال النبي ﷺ (ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم إصبغه في اليم فلينظر بما يرجع) رواه مسلم
قال النووي رحمه الله: ما للدنيا بالنسبة للآخرة في قصر مدتها وفناء لذاتها ودوام الآخرة ودوام لذاتها ونعيمها إلا كنسبة الماء الذي
يعلق بالإصبع إلى باقي البحر.
وقال ﷺ لابن عمر (يا ابن عمر كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) رواه البخاري وفي رواية (وعد نفسك من أهل
القبور).

فائدة :

قال تعالى (وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى) أي: آخرة المتقي خير من دنياه.
وقال تعالى (بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى).

● قال الرازي: وإنما قلنا: إن الآخرة خير لوجوه:

الأول: أن نعم الدنيا قليلة، ونعم الآخرة كثيرة.
والثاني: أن نعم الدنيا منقطعة ونعم الآخرة مؤبدة.
والثالث: أن نعم الدنيا مشوبة بالمهموم والغموم والمكاره، ونعم الآخرة صافية عن الكدرات.

الفوائد :

- ١- تحريم الكذب على الله .
- ٢- كل من كذب على الله فإنه لن يفلح .
- ٣- ذم الاغترار بالدنيا .
- ٤- أن متاع الدنيا قليل .
- ٥- أن متاع الآخرة هو المتاع الباقي .
- ٦- تهديد كل مكذب وظالم بأنه سيرجع إلى الله لينال عقابه .